

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة آل عمران ٢٢-٧-١٤٠٤-١٦

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

الم (١)

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ (٢)

سورة آل عمران

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣)

مَنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ
اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي
الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥)

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ
كَيْفَ يَشَاءُ لِمَا آوَاهُ الْإِلَٰهُ هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥)

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ
 مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ
 فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ
 تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
 ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
 أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ **زَيْغٌ** فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ **الْفِتْنَةِ** وَابْتِغَاءَ **تَأْوِيلِهِ**،

• **الزَيْغُ** هو الميل عن الاستقامة، و يلزمه اضطراب القلب و
 قلقه بقرينه ما يقابله في ذيل الآية من قوله: و
 الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا،

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• فَإِنَّ الْآيَةَ تَصِفُ حَالَ النَّاسِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى تَلْقَى الْقُرْآنَ
بِمَحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ هُوَ زَائِغُ الْقَلْبِ وَ
مَائِلُهُ وَمُضْطَّرِبُهُ فَهُوَ يَتَّبِعُ الْمُتَشَابِهَ ابْتِغَاءً لِلْفِتْنَةِ وَ
التَّأْوِيلِ،

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

- و منهم من هو راسخ العلم مستقر القلب يأخذ بالمحكم
 و يؤمن بالمتشابه و لا يتبعه، و يسأل الله تعالى أن لا
 يزيغ قلبه بعد الهداية.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• و من هنا يظهر: أن المراد باتباع المتشابه اتباعه عملا لا
 إيمانا، و أن هذا الاتباع المذموم اتباع للمتشابه من غير
 إرجاعه إلى المحكم، إذ على هذا التقدير يصير الاتباع
 اتباعا للمحكم و لا ذم فيه.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

• و المراد **بابتغاء الفتنة طلب إضلال الناس**، فإن الفتنة تقارب الإضلال في المعنى، يقول تعالى: يريدون باتباع المتشابه إضلال الناس في آيات الله سبحانه، و أمرا آخر هو أعظم من ذلك، و هو الحصول و الوقوف على تأويل القرآن و ماخذ أحكام الحلال و الحرام حتى يستغنوا عن اتباع محكمات الدين فينتسخ بذلك دين الله من أصله.

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

- والتأويل من الأول و هو الرجوع فتأويل المتشابه هو
 المرجع الذي يرجع إليه، و تأويل القرآن هو المأخذ
 الذي يأخذ منه معارفه.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• وقد ذكر الله سبحانه لفظ **التأويل** في موارد من كلامه فقال سبحانه: «وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ»: الأعراف - ٥٣، أي بالحق فيما أخبروا به و أنبئوا أن الله هو مولاهم الحق، و أن ما يدعون من دونه هو الباطل، و أن النبوة حق، و أن الدين حق، و أن الله يبعث من في القبور، و بالجملة كل ما يظهر حقيقته يوم القيامة من أنباء النبوة و أخبارها.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و من هنا ما قيل: إن **التأويل** في الآية هو الخارج الذي يطابقه الخبر الصادق كالأمور المشهودة يوم القيامة التي هي مطابقات (اسم مفعول) أخبار الأنبياء و الرسل و الكتب.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و يردده: أن التأويل على هذا يختص بالآيات المخبرة عن الصفات و بعض الأفعال و عن ما سيقع يوم القيامة، و أما الآيات المتضمنة لتشريع الأحكام فإنها لا شتمالها على الإنشاء لا مطابق لها في الخارج عنها، و كذا ما دل منها على ما يحكم به صريح العقل كعدة من أحكام الأخلاق فإن تأويلها معها،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- وكذا ما دل على قصص الأنبياء و الأمم الماضية فإن تأويلها على هذا المعنى يتقدمها من غير أن يتأخر إلى يوم القيامة مع، أن ظاهر الآية يضيف التأويل إلى الكتاب كله لا إلى قسم خاص من آياته.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و مثلها قوله تعالى: «وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يَفْتَرَىٰ إِلَىٰ أَنْ قَالَ: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ إِلَىٰ أَنْ قَالَ: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ و لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ»: يونس - ٣٩، و الآيات كما ترى تضيف التأويل إلى مجموع الكتاب.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- ولذلك ذكر بعضهم أن التأويل هو الأمر العيني الخارجي الذي يعتمد عليه الكلام،
- وهو في مورد الأخبار المخبر به الواقع في الخارج، إما سابقا كقصص الأنبياء و الأمم الماضية، و إما لاحقا كما في الآيات المخبرة عن صفات الله و أسمائه و مواعيده و كل ما سيظهر يوم القيامة،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و في مورد **الإنشاء** كآيات الأحكام المصالح المتحققة في الخارج كما في قوله تعالى: «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا»: إسرائ - ٣٥، فإن **تأويل** إيفاء الكيل و إقامة الوزن هو المصلحة المترتبة عليهما في المجتمع و هو استقامة أمر الاجتماع الإنساني.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- وفيه أولاً: أن ظاهر هذه الآية: أن التأويل أمر خارجي وأثر عيني مترتب على فعلهم الخارجي الذي هو إيفاء الكيل وإقامة الوزن لا الأمر التشريعي الذي يتضمنه قوله. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا الْآيَةَ،
- فالتأويل أمر خارجي هو مرجع ومآل لأمر خارجي آخر

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- فتوصيف آيات الكتاب بكونها ذات تأويل من جهة حكايتها عن معان خارجية (كما في الإخبار) أو تعلقها بأفعال أو أمور خارجية (كما في الإنشاء) لها تأويل، فالوصف وصف بحال متعلق الشيء لا بحال نفس الشيء.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و ثانيا: أن التأويل و إن كان هو المرجع الذي يرجع و يتول إليه الشيء لكنه رجوع خاص لا كل رجوع، فإن المرئوس يرجع إلى رئيسه و ليس بتأويل له، و العدد يرجع إلى الواحد و ليس بتأويل له، فلا محالة هو مرجع بنحو خاص لا مطلقا.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- يدل على ذلك قوله تعالى في قصة موسى و الخضر ع: «سَأَنْبِئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا»: الكهف - ٧٨، و قوله تعالى: «ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا»: الكهف - ٨٢، و الذي نبأه لموسى صور و عناوين لما فعله ع في موارد ثلاث كان موسى ع قد غفل عن تلك الصور و العناوين، و تلقى بدلها صوراً و عناوين أخرى أوجبت اعتراضه بها عليه،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- فالموارد الثلاث: هي قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا»: الكهف - ٧١، و قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ»: الكهف - ٧٤، و قوله تعالى: «حَتَّىٰ إِذَا آتَىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتِطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ»: الكهف - ٧٧.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و الذي تلقاه موسى ع من صور هذه القضايا و عناوينها قوله: «أُخْرِقْتُهَا لِتَغْرُقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا»: الكهف - ٧١، و قوله: «أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا»: الكهف - ٧٤، و قوله: «لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا»: الكهف - ٧٧.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• وَ الَّذِي نَبَأَ بِهِ الْخَضِرُ مِنَ التَّأْوِيلِ قَوْلُهُ: «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يَرِهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَ أَقْرَبَ رَحْمًا، وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ، وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ»: الكهف - ٨٢،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- ثم أجاب عن جميع ما اعترض عليه موسى ع جملة بقوله: «و ما فعلته عن أمرى»: الكهف - ٨٢، فالذى أريد من **التأويل** فى هذه الآيات كما ترى هو رجوع الشىء إلى صورته و عنوانه نظير رجوع الضرب إلى التأديب و رجوع الفصد إلى العلاج، لا نظير رجوع قولنا: جاء زيد إلى مجىء زيد فى الخارج.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• و يقرب من ذلك ما ورد من لفظ التأويل في عدة مواضع من قصة يوسف ع كقوله تعالى: «إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ»: يوسف - ٤، و قوله تعالى: و رفع أبويه علي العرش و خروا له سجداً و قال يا أبت هذا **تأويل** رءياى من قبل قد جعلها ربى حقاً»: يوسف - ١٠٠، فرجوع ما رآه من الرؤيا إلى سجود أبويه و إخوته له و إن كان رجوعاً لكنه من قبيل رجوع المثال إلى الممثل،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• و كذا قوله تعالى: «وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلْنَ سَبْعَ عَجَافٍ وَ سَبْعَ سِنْبَلَاتٍ خُضْرٍ وَأَخْرٍ يَأْبَسَاتٍ، يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رَأْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرَّءْيَا تَعْبُرُونَ، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَ مَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ، وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شَدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ»:

يوسف - ٤٨.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• وكذا قوله تعالى: «وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أُرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا، وَ قَالَ الْآخَرُ إِنِّي أُرَانِي أَحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئًا **بتأويله** إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ إِلَى أَنْ قَالَ: يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَا أُحَدِّثُكَ مِمَّا فَيَسُقِي ربه خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ»: يوسف - ٤١.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- و كذا قوله تعالى: «وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»: يوسف - ٦١، و قوله تعالى: «وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»: يوسف - ٢١، و قوله تعالى: وَ عَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ»: يوسف - ١٠١، فقد استعمل التَّأْوِيلَ في جميع هذه الموارد من قصة يوسف ع فيما يرجع إليه الرؤيا من الحوادث، و هو الذي كان يراه النائم فيما يناسبه من الصورة و المثال،

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- **فنسبة التأويل إلى ذى التأويل نسبة المعنى إلى صورته التي يظهر بها، و الحقيقة المتمثلة إلى مثالها الذى تتمثل به، كما كان الأمر يجرى هذا المجرى فيما أوردناه من الآيات فى قصة موسى و الخضرع، و كذا فى قوله تعالى: وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُنتُمْ إِلَى قَوْلِهِ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا الآية: إسرائ- ٣٥.**

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- والتدبر في آيات القيامة يعطى أن المراد هو ذلك أيضا في لفظة التأويل في قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَاَلَمْ يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ الْآيَةِ، وقوله تعالى «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ» الْآيَةِ»

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

• فَإِنِ أَمْثَالَ قَوْلِهِ تَعَالَى: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ»: ق - ٢٢، تدل على أن مشاهدة وقوع ما أخبر به الكتاب و أنبأ به الأنبياء يوم القيامة من غير سنخ المشاهدة الحسية التي نعهدها في الدنيا كما أن نفس وقوعها و النظام الحاكم فيها غير ما نألفه في نشأتنا هذه، و سيجيء مزيد بيان له

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

- فرجوع أخبار الكتاب و النبوءة إلى مضامينها الظاهرة يوم القيامة ليس من قبيل رجوع الإخبار عن الأمور المستقبلية إلى تحقق مضامينها في المستقبل.